أحسن القصص
سيرة الأنبياء (عليهم السلام)



قصة سيدنا صالح (عليه السلام)
هذه ناقة اللّٰه

كمال السيد

في سنة 9 من الهجرة كان الجيش الاسلامي بقيادة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يواصل زحفه باتجاه منطقة تبوك، وذلك لمواجهة حشود الرومان العسكرية في شمال شبه الجزيرة العربية.

كانت الرحلة شاقّة جداً.. وكان جنود الاسلام يشعرون بالتعب والظمأ.. من أجل هذا أمر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتوقف في "وادي القرى" قريباً من منطقة تبوك.

عسكر الجيش الاسلامي قرب الجبال وكانت هناك منطقة أثرية وخرائب وآبار للمياه.

تساءل البعض عن هذه الآثار، فقيل انها تعود إلى قبيلة ثمود التي كانت تقطن في هذا المكان.

نهى سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين من شرب مياه تلك الآبار ودلّاهم على عين قرب الجبال.. وقال لهم أنها العين التي كانت ناقة صالح تشرب منها.

حذر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جنوده من دخول تلك الآثار الا للاعتبار من مصير تلك القبيلة التي حلّت بها اللعنة فأصبحت أثراً بعد عين.

فمن هي قبيلة ثمود؟ وما هي قصة سيدنا صالح (عليه السلام).



في تلك الوديان الفسيحة التي تدعى "وادي القرى" في شمال شبه جزيرة العرب وفي عصور ما قبل التاريخ عاشت قبيلة ثمود.

وقبيلة ثمود من القبائل العربية البائدة التي لم يرد لها ذكر في التاريخ الانساني..

سوى ما ورد من قصّتهم في القرآن الكريم أوفي احاديث سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ظهرت هذه القبيلة بعد أن بادت قبائل عاد في وادي الاحقاف.

اشتغل أهلها بالزراعة، يحفرون الآبار ويحرثون الحقول، وينحتون بيوتهم في قلب الجبال.. وكانت مواشيهم ترعى في المروج بسلام. فازدهرت بساتينهم ومزارعهم وأصبحت محمّلة بالثمار.

هكذا كانت تعيش قبيلة ثمود.



وبدل أن يشكروا الله ويعبدوه.. طغى الاثرياء والمترفون واتجه أفراد تلك القبيلة إلى عبادة الأوثان من دون الله.

وفي تلك الفترة عاش سيدنا صالح (عليه السلام)كان إنساناً طيّباً وحكيماً وكان الناس يحبّونه كثيراً لما عرف عنه من الخصال الحميدة والصفات الحسنة..

وكان بعض أفراد القبيلة يفكرون بان صالح سيكون له شان ومنزلة وربّما سيرأس قبيلة ثمود القويّة.

الله سبحانه اختار سيدنا صالح ليكون رسولاً إلى قبيلته، لينهى الناس عن عبادة الأوثان ويعبدوا الله وحده.

سيدنا صالح كان يعرف أنّ عبادة الاوثان متأصلة في قلوبهم لأنها عبادة الآباء والأجداد.. وكان يعرف أنّ زعماء القبيلة أُناس مفسدون لا يحبّون الخير.. وهم يبطشون بكل من يدعو الناس إلى الانصراف عن عبادة الأصنام...

ولكن سيدنا صالح (عليه السلام) هو نبي الله ورسوله وهولا يخاف أحداً غير الله عزوجل.

لهذا أعلن سيدنا صالح دعوته وبشّر برسالته، ومن هنا بدأ الصراع.

بدأ الخير صراعه ضد الشر، وبدأ النبي المؤمن صراعه ضد الأشرار الكافرين.

وكان في قبيلة ثمود تسعة رجال أقوياء وكانوا جميعاً يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

كانوا يكرهون الخير ويميلون إلى الشر.



الصخرة المقدسة

ذات يوم ذهب أفراد القبيلة إلى صخرة كبيرة في الجبل كانوا يعبدونها منذ زمن بعيد.. الأطفال كانوا يشاهدون آباءهم يعبدون تلك الصخرة فعبدوها مثلهم.. وعندما كبروا ظلّوا يعبدونها أيضاً.

الصخرة أصبحت مقدسة لدى القبيلة.. الناس يذبحون عندها الخراف.. ويقدّمون لها القرابين، ويطلبون منها الرزق والبركة!

ورأى صالح (عليه السلام) ما يفعل قومه فحزن من أجلهم.. لهذا ذهب اليهم عند الصخرة المقدسة!

قال لهم سيدنا صالح: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره.

قال بعضهم: كيف نعبده وحده؟

قال صالح (عليه السلام): لأنّه هو الذي خلقكم وهو الذي يرزقكم.

قالوا: ان الله بعيد عنا ونحن لا نستطيع أن نسأله.. لهذا فنحن نعبد بعض مخلوقاته الشريفة.. وهو قد فوّضها أمرنا، فنحن نتقرّب اليها حتى يرضى عنا

قال صالح (عليه السلام) بحزن: يا قوم إن الله هو الذي انشأكم وهو الذي أرسلني اليكم لتعبدوه وحده ولا تشركوا بعبادته أحداً.

يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربّي قريب مجيب.

قالوا: {يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً}.. كنا نأمل أن نفيد من عقلك وحكمتك..

وها أنت تأتينا بالأعاجيب.. كيف تدعونا أن نترك الآلهة.. كيف تدعونا الى أن نترك ما كان يعبد آباؤنا وأجدادنا؟



لقد أصبحنا نشكُّ في أمرك.. لقد جننت يا صالح!

قال صالح (عليه السلام): لقد أرسلني الله اليكم لتعبدوه، وأنا لا أطلب على ذلك أجراً من أحد ولا أعبد أحداً إلاّ الله الذي خلقني.

قالوا: إذا كنت حقاً رسولاً من الله فهل تستطيع أن تخرج لنا من قلب هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء.

قال لهم النبي صالح (عليه السلام): ان الله قادر على كل شيء وهو الذي خلقنا جميعاً من هذا التراب.

قالوا: إنّا لا نؤمن برسالتك حتى تخرج لنا ناقة من قلب هذه الصخرة.

وصاح بعضهم: نعم.. وأن تكون عشراء.

أي في بطنها حمل.

قال سيدنا صالح: سأدعو الله فاذا فعل ذلك فهل توحّدوا الله وتؤمنوا بأني رسول منه إليكم.

قالوا: نعم يا صالح، فمتى الموعد؟

قال لهم صالح (عليه السلام): غداً في هذا المكان.

مع أوّل خيوط الفجر انطلق صالح صوب الجبل حيث توجد الصخرة الكبيرة.

إن ما سيفعله صالح (عليه السلام) ليس أمراً سهلاً!! كيف يمكن للجبل ان يتمخض عن ناقة؟

كيف يمكن لهذه الصخرة الصمّاء أن تتشقق فتخرج عنها ناقة عشراء؟

اجتمعت قبيلة ثمود بأسرها عند الجبل.. كان بعضهم يشكك، وكان بعض ينظر إلى الجبل وآخرون كانوا يراقبون ما يفعله من بعيد.

رأوا صالح ينظر إلى السماء الزرقاء، ويتمتم بكلمات كان ينظر بخشوع وضراعة وكانوا يرون يديه تشيران إلى الجبل وإلى قبيلة ثمود.

أدركوا ان صالح يتضرّع إلى ربّه، يطلب منه آية على صدق رسالته.

كان يطلب شيئاً عجيباً! يطلب ناقة عشراء، أي مضى على حملها عشرة اشهر تخرج من قلب الجبل.

سيطرت رهبة المكان على الجموع وهي تراقب صالح وتنظر إلى الجبل بصخوره الصماء.

جثا سيدنا صالح ودمعت عيناه وهو يطلب آية من ربه فلعل قومه يهتدون.. يعودون إلى فطرتهم فيعبدون الله وحده.

فجأة نهض صالح وأشار بإصبعه إلى نقطة في الجبل.

سمع أفراد القبيلة جميعهم صوتاً مهيباً.. صوتاً يشبه تشقق الصخور.. كان الصوت قويّاً مدوّياً.

تساقطت بعض الصخور إلى أسفل الوادي.. ومن بين الغبار الخفيف ظهرت ناقة جميلة رائعة.

كانت ناقة عشراء حقاً.

الناقة كانت وديعة جدّاً يحبها المرء لأوّل نظرة.

سجد سيّدنا صالح لله شكراً وتعظيماً.. انها قدرة الله المطلقة التي تقول للشيء كن فيكون.

طأطأ أفراد القبيلة رؤوسهم إجلالاً وسجد بعضهم لله.

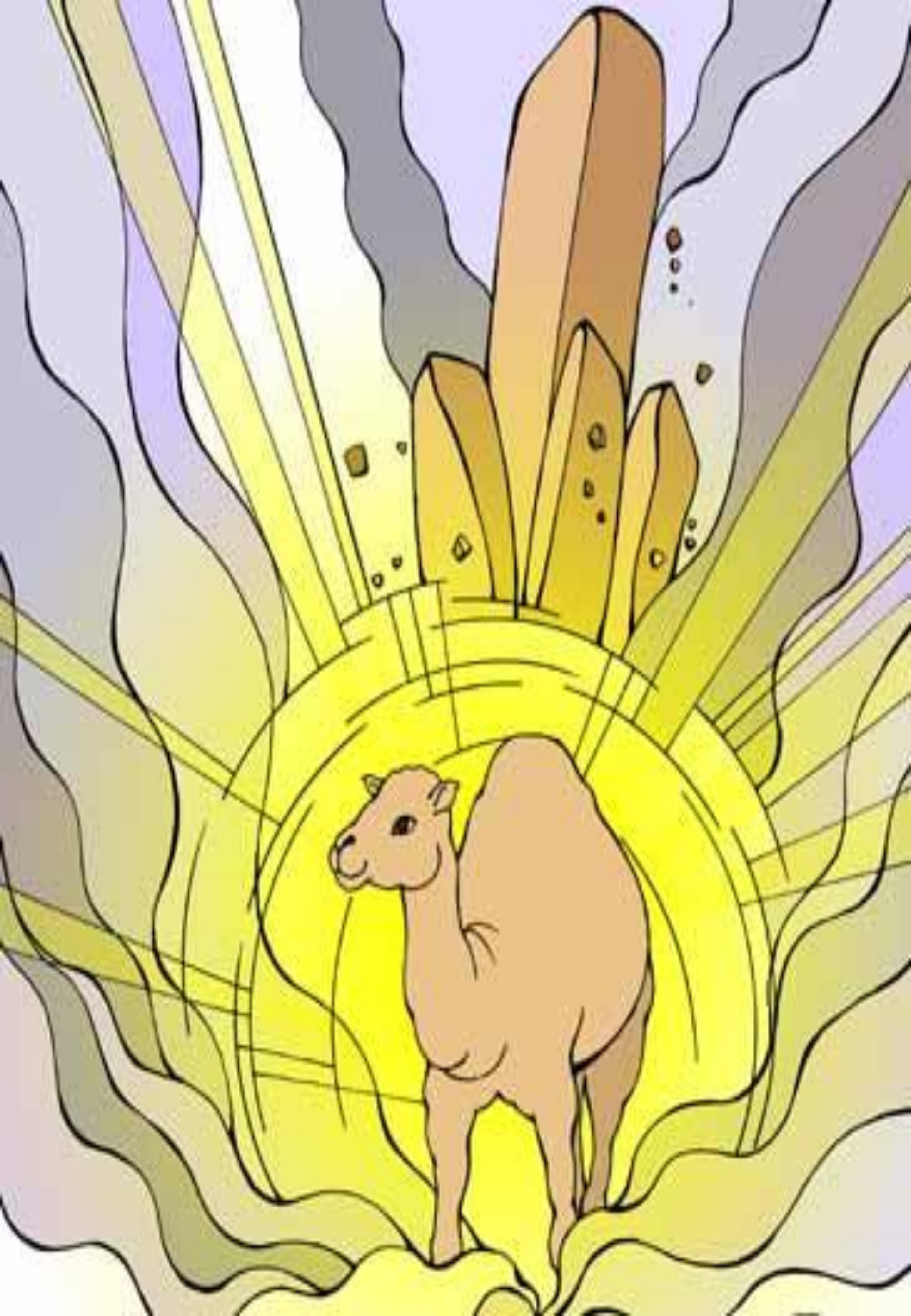
ها هم يرون آية عظيمة.. أمام أعينهم.. إن ما قاله صالح هو الحق.. إنّ الله واحد لا شريك له.

كانوا قليلين ولكنّ إيمانهم كان إيماناً ثابتاً ثبات الجبل الذي خرجت من قلبه الناقة.

كل افراد القبيلة كانوا ينظرون بانبهار إلى تلك المعجزة.

أصبحت الناقة رمزاً لرسالة صالح.

أصبحت رمزاً للتوحيد في مقابل الوثنية.



الفصيل الصغير

مرّت ثلاثة أيام وأنجبت الناقة فصيلاً جميلاً محبوباً.

كان يرافق أمّه دائماً يلعب قربها في وداعة وكانت أمّه ترعاه بحنان.

أصبحت الناقة وفصيلها الوديع رمزاً للمحبّة والرحمة.

كلما شاهدها أحد قال، هذه ناقة صالح.

ولكن سيّدنا صالح قال لهم: هذه ناقة الله.. إنّها آية السماء.. وايّاكم أن تؤذوها أو تمسّوها بسوء سوف تحلّ بكم لعنة الله إذا فعلتم ذلك.

وتمرّ الأيام والناقة تعيش في تلك الوديان الفسيحة تأكل من أعشاب الوادي وتقصد بعض العيون فتشرب الماء وترتوي.

كانت تهب اللبن لكلّ النّاس.. وكان لبنها طيباً مباركاً.



الصراع

أصبحت قبيلة ثمود جبهتين متصارعتين.

جبهة الايمان وجبهة الأوثان.

في كلِّ يوم كان الكفّار يؤذون المؤمنين يسخرون من إيمانهم يقولون لهم: هل حقاً انّكم تؤمنون بأن صالحاً رسول من الله؟

وكان المؤمنون يقولون: نعم إنّنا نؤمن برسالته وبما جاء به من عند الله ولا نعبد غير الله.

عندها يقول الكافرون: اننا بما آمنتم به كافرون.

كانوا يعلنون بصراحة كفرهم برسالة الله.

كانوا أثرياء أبطرتهم النعمة.. كانوا يتصوّرون انهم أقوياء جداً.

وكان أكثرهم كفراً تسعة رجال قساة القلوب.. ليس في نفوسهم رحمة لأحد.

لا يعرفون شيئاً سوى مصالحهم.. ادركوا أنّ صالحاً سيكون خطراً على نفوذهم.. لهذا حقدوا علي.

حقدوا على الناقة لأنها أصبحت رمزاً لنبوّة صالح وصدق رسالته.



المؤامرة:

ذات ليلة وبعد أن نام الناس اجتمع أولئك الرجال التسعة راحوا يأكلون الطعام بشراهة.. أكلوا حتى امتلأت بطونهم.

ثم راحوا يشربون الخمر حتى سكروا.. أصبحت عيونهم حمراء.. كانوا يتحدثون عن شيء واحد، هو خطر النبي صالح.

تساءلوا ماذا نفعل؟ كيف نتخلص من صالح.

قال أحدهم: الأفضل أن نتخلص من ناقته.

قال آخر: نعم نقتلها إنها الدليل على رسالته.. وعندما نقتلها سيكون ضعيفاً أمامنا.

قال ثالث: ونقتله هو الآخر.

وقال الرابع: ومن الذي يقتلها.

الرجل الخامس قال: نعم من الذي يستطيع قتلها؟

قال الرجل السادس: أنا أعرف من يمكنه قتلها.

سأل الرجل السابع: من هو؟

تساءل الجميع: من هو؟

قال الرجل: انه قيدار الشقيّ.

صاح الجميع: نعم قيدار الذي لا يرحم أحداً.



الجريمة:

برقت العيون بالغدر والجريمة والقتل.. وخرج أحدهم ليستدعي قيدار الشقي.

كان الوقت بعد منتصف الليل وجاء قيدار يحمل معه سيف الغدر.

سكر قيدار واحمرّت عيناه.. كان هو الآخر يحقد على الناقة.. إنّها رمز الخير وهو يكره الخير.. كان مخلوقاً شقياً شرّيراً، والشرّير لا يحب الخير.

وعندما أغروه بالمال نهض لينفّذ جريمته.

قال المتآمرون: إلى أين يا قيدار.

قال قيدار: سأقتلها الليلة.

قال الرجال التسعة المفسدون: كلاّ انتظر حتى يطلع الفجر.. وعندما تذهب الناقة إلى الينبوع فانّك تستطيع قتلها بسهولة.

طلع الفجر وكان قيدار الشقي قد أمضى الليل كلّه يسكر ويعربد.

أصبح وجهه مخيفاً.. أصبح أكثر حمرة، وكانت عروق وجهه زرقاء فأصبح وجهه مرعباً.. لو رآه انسان في تلك الحالة لعرف أن قيدار سيرتكب جريمة.

استيقظت الناقة واستيقظ فصيلها الوديع وانطلقا إلى النبع ليشربا الماء.

كان الفصيل سعيداً يمرح.. وكانت الشمس قد أشرقت قليلاً، فبدت المروج الخضر ملاعب جميلة.

كان فصيل الناقة يحبُّ اللعب في تلك المروج الخضراء وكانت أمّه تأخذه إلى هناك كل صباح.

ولكن ماذا حدث ذلك الصباح؟ لماذا لم يذهب الفصيل الصغير ليلعب؟

ماذا يرى؟

شعر بالخوف.. نعم لقد ظهر قيدار الشقي بوجهه المخيف.. ظهر فجأة واعترض طريقهما.

كان في يده سيف.. أرادت الأُم ان تبتعد ولكن قيدار بادرها بضربة غادرة.. هوت الناقة المسكينة فوق الأرض.

وعاجلها قيدار ليطعنها في رقبتها.. كانت تنظر بحزن إلى فصيلها.. تريد أن تقول له: انج بنفسك كان الفصيل خائفاً مذعوراً فرّ باتجاه الجبل.

جاء الرجال التسعة وراحوا يطعنون الناقة بالسكاكين والخناجر.. وراحت الدماء تسيل، تلوّن الأرض وتصبغ الصخور.



الطفولة البريئة:

لم يكتف المجرمون من قبيلة ثمود بما فعلوه.. كانت أيديهم ملطخة بدماء الناقة البريئة.. وراح الوثنيون يتخطفون لحمها مثل الذئاب المتوحشة.

لم يكتفوا بذلك وراحوا يطاردون الفصيل الصغير كان ما يزال طفلاً.. كان خائفاً مذعوراً راح يتسلّق صخور الجبل.

كان يبحث عن ملجأ من هذه الوحوش التي تطارده.. وحوش أشرس من الذئاب.

وقف طفل الناقة الصغير فوق قمّة الجبل ينظر إلى أُمه التي مزّقتها السكاكين وينظر إلى المجرمين بأيديهم الخناجر وهم يتسلّقون الجبل لقتله.

لم يكن هناك من طريق للنجاة.. نظر إلى السماء ورغا.. رغا ثلاث مرّات قبل أن يطعنه أحد الوثنيين بسكين حادّة.

وقع الفصيل الصغير فوق الصخور.. ونزفت دماؤه لتصبغ الصخور بلون أحمر رائق.

انهال عليه المجرمون بالسكاكين الحادّة ومزّقوه بوحشية. حتى الذئاب كانت أرحم من أُولئك القتلة الكافرين.

استيقظ سيّدنا صالح والمؤمنون على هول الجريمة.. ومضى صالح والذين آمنوا ليشاهدوا ما حلّ بناقة الله.

لم يجدوا سوى الدماء تلوّن الأرض وقمّة الجبل.

ظهرت غيوم سوداء في الأُفق.. وأصبح الجو مشحوناً بالخطر.

فرّت كل الاشياء الجميلة.. فهؤلاء الأشرار لا يحبّون الخير قتلوا حيواناً وديعاً يهبهم اللبن كل يوم.

قتلوا الناقة لأنها آية والدليل على صدق رسالة صالح.

قال سيّدنا صالح لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام فقط.. لسوف يحلّ بكم العذاب لأنكم قوم ظالمون.. تكفرون برسالة الله وتقتلون ناقة الله ولا تحبون الخير.

لم يعتذر أهل ثمود.. لم يتوبوا بل فكّروا أيضاً بقتل سيدنا صالح.. فكّروا بقتل أسرته أيضاً.

مرّة أخرى اجتمعوا وقرّروا أن يهاجموا منزل صالح ليقتلوه هو الآخر، وبعدها يمكنهم قهر المؤمنين المستضعفين.

ولكن ماذا حصل؟



قبل أن ينفّذوا جريمتهم الأخرى حدث شيء رهيب.. كانت الغيوم السوداء تتجمع في السماء.. حجبت النجوم والقمر والكواكب وغرقت الوديان والجبال في ظلمة كثيفة.

وفي منتصف تلك الليلة، انقضت صاعقة سماوية جبّارة دمّرت قبيلة ثمود.. فقد استيقظ الظالمون على صيحة مدوّية انخلعت لها القلوب، وكانت الصواعق المدمّرة تنقض على مضارب تلك القبيلة المجرمة فتهاوت القصور والمنازل وامتلأت الوديان ناراً.

لم ينج أحد سوى سيدنا صالح والذين آمنوا معه.

وهكذا كانت نهاية قبيلة ثمود.. فلم تشرق شمس اليوم الرابع من قتل الناقة، الاّ على خرائب أُولئك الظالمين، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.



النهاية

هذه ناقة الله

المصدر: موقع رافد